البدايات الأولـــى لنشـــوء الشـــعر الأندلســي

لؤي صيهود فواز
جامعة ديالى– كلية التربية الرياضية
هالة بدري داوود
وزارة التربية – كلية بغداد

المدخل :

الشخصية الأندلسية وعوامل ظهورها:

ظهرت الشخصية الأندلسية ونمت وترعرت بعد أن استقر العرب في الأندلس واندمجوا في المجتمع الجديد فقد فتح العرب الأندلس سنة (92هـ) ، وقد تعرض النشاط الفكري في الأندلس عامة والأدبي خاصة في انتهاء القرنين الأول والثاني إلى تأثيرين أساسيين هما :-

الظروف المحلية التي أحاطت بالعرب في الأندلس ، والتأثير المشرقي . (أما الظروف التي كانت سائدة في الأندلس وفي هذه الفترة فقد كانت تتسم بالاضطراب والتنافس فيما بين القبائل العربية المختلفة فضلاً عن انشغالهم بأمور الفتح وما يتطلبه من حروب ضد الأسبان) [1] وأن تلك الصعوبات الكثيرة كان من شأنها أن تشغل الذهن عن الكتابة والتاريخ للأدب والأدباء الذين كانوا مشغولين بالجهاد .

((وإذا كان في هذه الظروف المضطربة ما يشغل الأذهان عن شؤون الفكر والأدب فإن فيها ما يدفع بالشعراء إلى أن يقولوا شعراً يعبر عن واقع هذه الظروف على نفوسهم ذماً لها أو وصفاً لأثارها أو سخطاً عليها وتبياناً لفسادها)) [2] .

وفي الواقع وردنا شيء يسير جداً يدور في أمور الحرب ويشير بوضوح إلى أن الشعراء لم يكونوا بعيدين عن المشاركة بشعرهم فيها . ومن ذلك ما قيل من شعر لما أظهر

---

[1] فصول في الأدب : 51.

[2] المصدر نفسه : 51.

حركة ابن حفصون النصرانية (286هـ) وقيام الغزوات عليه بالصوائف والشواتي ، قال ابن قلزم لابن أبي عبيدة (287هـ) أحد القواد المحاربين لابن حفصون[1] .

ففي كلِّ صيفٍ وفي كلِّ مشتىً غزاتان منك على كلِّ حالِ

فتلك تبيدُ العدو هذي تفيدُ الأمام بها بيتُّ مالِ

ثم أن الكوارث الطبيعية التي كانت تنزل بالأندلس بسبب القحط الشديد وما يستتبعه من أمور يموت فيها الخلق الكثير لا يمكن أن تمر هذه السنين الشديدة من دون أن يقال فيها شعر ولا ريب في أنه قد قيل فيها شعر كثير إلا أنه لم يصل إلينا والدليل على ذلك ما وصلنا من قصيدة للعكي نظمها سنة (275هـ) حين عم الأندلس القحط الشديد ولم ينزل الغيث قال العكي في ذلك شعراً ومدح المنذر:- [2]

نزل الحيا المحيي وطابت أنفس قد كان سوء الظن فيها يهجسُ

أحيا الإلـه عبادة من بعدما كانت من القنط النفوس توسوسُ

وقال فيها ايضاً :- [3]

متلافيا فيه بعائد رحمة لو لا عوائدها طوتنا الابؤسُ

ملك الملوك تقدس أسماؤه الـ حسنى وعز جلاله المتقدسُ

فالذي يقول شعراً في مطر يهطل بعد انقطاع وقحط لابد أن يقوله في مجاعة تّعم فتضطرب بها النفوس ويخامر الناس القنوط .

و ظهرت أسماء كتب أرخت للشعراء وللكتّاب وقسمتها على طبقات [2] . وسأذكرها كاملة فيما بعد مما يدل كثرة الشعراء والكتاب حتى لفتوا انتباه المؤرخين ليضعوا مصنفات أدبية تتحدث عن تاريخ تلك المدّة وأدبها في جوانب الحياة الأندلسية، فالشعراء كانوا كثيرين ينبغي تقسيمهم طبقات بحسب قدرتهم الكتابية أو الشعرية وإجادتهم فيها .

---

[1] البيان المغرب / 2: 210.

[2] المصدر نفسه /2 : 179-180 .

[3] المصدر نفسه /2 : 179

[2] تاريخ علماء الأندلس / 1 : 406.

أثر الشعر المشرقي في تكوين الشعر الأندلسي :-

استطاع البحث أن يضع اليد على العوامل التي أسهمت في نشوء أول ديوان للشاعر (يحيى بن الحكم الغزال / 250 هـ) وكان في رأس هذه العوامل الفتوحات وقد وجدنا من خلال البحث أن هنالك شخصيتين :-

الأولى :- شخصية وافدة .

الثانية :- شخصية نشأت في الأندلس .

- **الشخصية الوافدة :-**

. فمنذ أن افتتح العرب الأندلس كان هناك أدباء وشعراء دخلوا إلى الأندلس ونقلوا الشعر المشرقي إلى الأندلس ولو عدنا إلى ذكر الشعراء الذين بدؤوا بنظم الشعر لا نجد غير ذكر عبد الرحمن الداخل (172هـ) وله شعر يتشوق فيه إلى معاهده بالشام [2] .

وهذا هو جانب من شعره لأن الذي وصل إلينا منه قليل جداً والباقي لنا في الحنين إلى أرض المشرق وفي الحماسة والوصف وهو شعر وجداني .

وهناك شاعر آخر من الشعراء المتقدمين الأندلسيين وهو :

(أبو الأجرب جَعْونَة بن الصِّمَّة الكلابي) :-

وكان من قدماء الشعراء ي الأندلس " فهو من طبقة جرير والفرزدق في المشرق، وكان أبو فراس معجباً به وكان فارساً شاعراً يلقبونه (عنترة الأندلس) وانه لم يبق من شعره سوى بيتين ليسا من المديح ، وأن هذا القليل الذي أيدينا يدل على أنه كما قال عنه ابن حزم شعر بدوي السمات [2] .

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب / 40 وله مقطوعة في الحنين إلى وطنه عندما نزل بمنسية الرصافة ورأى نخلة منفردة : ينظر إلى الحلة السيراء / 1 : 35.

[2] جذوة المقتبس 1 : ينظر 177 – المغرب 1 : ينظر 131 .

ولقد اراني من هواي بمنزلٍ عالٍ ورأسي ذو غدائر أفرعُ

والعيشُ أغيدُ ساقط افنانه والماء أطيبه لنا والمرتعُ

ولأبي الأجرب في مدح الصميل قوله :- [1]

([1]) الإحاطة في أخبار غرناطة : 347/3.

بنى لك حاتم بيتاً رفيعاً رأيناه على عُمُد طوال
وقد كان ابتنى شمرٌ وعمرو بيوتاً غير ضاحية الظلال
فأنت ابن الأكارم مرة معدة بمعتلج الاباطحُ والزّمآلِ

وله في مدحه :-

دون الصميل شريعة مورودة لا يستطيع لها العدوّ ورودا
فتَّ الورى وجمعت اشتات العلا وحويت مجداً لا يُنال وجودا
فإذا هلكت فلا تحمل فارسٌ سيفاً ولا حمل النساءُ وليدا

ونجد السمات التقليدية واضحة في شعره أيضاً ، ومن شعراء تلك المدّة الشاعر (أبا الخطار حسام بن ضرار) وقد وفد على الأندلس والياً سنة (125هـ) أيام هشام بن عبد الملك وكان شاعراً فارساً ولذا لقب بعنترة الأندلس [1] وهو أيضاً ، لم يعثر إلا على قليل من شعره . وكذلك ممن يقرض الشعر في ذلك الوقت :- خريشي الكندي (186هـ) وهو من العرب الأوائل كان له شعر ونثر يجريان على الخصائص المشرقية[2] . ومن شعره قوله في كتاب أرسله إلى إبراهيم بن الأغلب[3]:

قلْ جَهْرةً لأبي إسحاقَ تَنْصَحُهُ هذا فِراقُكُمُ للغربِ قَدْ حانا
فلا يعـودُ إليهِ منكمُ أحدٌ حتى يعودَ منَ الأجداثِ مَوْتانا
فارجعْ عن الغربِ أو ألقِ السَّوادَ بهِ لا تَخْتَرِمْك المنايا حينَ تلقانا
وسوفَ تعلم أن الموت يسمع لي إذا التَقَتْ بِنَواحِي الفَحْصِ خَيْلانا

---

[1] جذوة المقتبس 1 : 313 – أخبار مجموعة : 56 – تاريخ افتتاح الأندلس : 18 وقد قال الشاعر أبو الخطار في ثار أخذه لعزيز قومه : فليت ابن جواس يخبر أنني سميت به سعي أمري غير عاقلِ
قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرّعت بالمسايلِ
ينظر في جذوة المقتبس 1 : 314.

[2] جذوة المقتبس 1 : 313.

[3] الحلة السيراء 1 : 102.

والشاعر الآخر هو : محمد بن سعيد بن بشير بن إسرائيل المعافيري (198هـ) كان أدبياً وله أبيات فيها شيء من الشكوى يقول [1] :

إنما أزرى بقدري أنني لستُ من بابهِ هذا البلدِ
ليس منهم غير ذي مقلية لذوي الألباب أو ذي حسدِ
يتحامون لقائي مثلما يتحامون لقاء الأسدِ
مطلعي اثقلُ في اعينهم وعلى أنفسهم من أحُدِ
لو رأوني وسط بحرٍ لم يكن أحدٌ يأخذ منهم بيدي

تلك كانت الشخصية الأولى . أما الشخصية الثانية : فهي شخصية نشأت في الأندلس ونبتت في أرضها ، وكونت لهم معالم عبقريتها وحضارتها وإبداعها ومنهم :-

أبو يحيى عاصم بن زيد يحيى المعروف بأبي المخشي (180هـ) .

نشأ وشب شاعراً وانقطع إلى سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ومدحه مرة بقصيدة منها هذا البيت الذي عدّهُ هشام بن عبد الرحمن تعريضاً به وهو قوله [2] :-

وَلَيس كَمِثْلَ منْ إنْ سيم عُرْفاً يقلبَ مقلةً فيها اعورارَ

فهو من فحول الشعراء المتقدمين في الأندلس . مقتدر على قول الشعر ومن شعره أبيات من قصيدة قالها في العمى ، ويمكن عدها من أروع شعره الذي يصور فيه الهم .

يقول أبو المخشي في العمى :-[1]

خضعت أم بناتي للعدى أن قضى الله قضاء فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنما مشيه في الأرض لمس بالعصى
فأستكانت ثم قالت قوله وهي حرى بلغت مني المدى
فؤادي قرح من قولها ما من إلا دواء داء كالعمى

---

[1] بغية الملتمس 1 : 81 ينظر المغرب 1 : 144.

[2] المغرب / 2 : 124.

[1] ينظر تاريخ افتتاح الأندلس : 56 .

وهو أيضاً أوضح نموذج على شعره الذي يحمل النسق البدوي وما أنشد له أبو عامر بن شهيد فيما استحسن من شعره في كتاب (حانوت عطار) قوله[2]:-

وَهمٍ ضافني في جوف يمٍ كلا موجيهما عندي كبيرُ

فبتنا والقلوب معلقاتٌ واجنحة الرياح بنا تطيرُ

وكل ما تقدم دليل على تأثر الشاعر بما دخل عليه أو أفاد منه من أدب مشرقي يحمل سمات الشرق وخصائصه أولها الحياة العربية القديمة .

ومن النساء الشواعر في ذلك الوقت :-

الشاعرة حسانة بنت أبي الحسين التميمية (230هـ) :-

وكانت قد تأدبت وتعلمت الشعر وشعرها مشرقي المنهج متين الأسلوب ومنه ما أنشدته حين وفدت على الحكم[3]:-

انيَّ إليكَ أبا العاصُ مَوَّجعَةً أبا الحسينَ سَقتْهُ الواكف الديمُ

قد كنت ارتع في نعماه عاكفةُ فاليَوم أوى إلى نعماكَ يا حكمُ

أنت الأنام الذي انقاد الأنام له وَمَّلكْنهُ مقاليد النُّهى الأممُ

لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفا آوى إليه ولا يعرو لي العدمُ

لا زلت بالعزِةِ القعساءِ مُرتَدِيا حتى تذلّ إليك العرب والعجمُ

وفي أبيات حسانة هذه نجد دخولها إلى الغرض الأساس وهو (الالتماس) من الحكم لا ستعاطفه بأسلوب متين وجزل وهذا هو ما كان عليه الشعر المشرقي فنجدها كما أبوها الشاعر أبو المخشي متأثرة بدخول سمات الشعر المشرقي وخصائصه على الأندلس ومن هذه الخصائص أن شعرها يتسم بالصدق والأصالة ، ويتسم بالتركيز العاطفي ، ولغته الجزلة والتمسك بنظام القافية والتفعلية .

---

[2] جذوة المقتبس /2 : 635 .

[3] نفح الطيب / 2: 328 .

إن ما تقدم هو عن الشعراء الذين وفدوا إلى الأندلس مع الفتح وكذلك الشعراء الذين نشؤوا في الأندلس ، ونلاحظ أن هناك من اهتم بنقل التراث ثم عادوا ليدرسوا ما حصلوا عليه في جامع قرطبة ومن هؤلاء :-

عباس بن ناصح الجزيري الأندلسي الثقفي (238هـ) :-

(لما سمع بنجم أبي نواس في المشرق فروى شعره وكان من أهل العلم بالعربية واللغة والشعر المجددين ، وكان شعره جزلاً متيناً يشبه ما ألفه قدماء الشعراء في المشرق ، قال عباس بن ناصح في طول الحياة) ([1]).

ما خيرةٌ مدة عيشِ المرء لو جعلتْ كمدةِ الدهر والأيام تفنيها

فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا وابتع بخاتك بالدنيا وما فيها

وهناك من أدخل الأشعار المشروحة كلها وهو :-

محمد بن عبد الله بن الغازي (269هـ) :-

((وأدخل إلى الأندلس علماً كثيراً من الشعر الغريب والخبر وعنه أخذ أهل الأندلس المشروحة ومن شعره)) [(1)].

ألحمدُ للهِ ثم الحَمْدُ للهِ كم ذا الموتِ من ساهٍ ومن لاهِ ؟

يا ذا الذي هو في لهوٍ وفي لعبٍ طوبى لعبدٍ حقيبِ القلبِ آواه !

ماذا تعاين هذين العينُ من عجبٍ عند الخروجِ من الدُّنيا إلى اللهِ

وأحرز شعر أبي تمام قدراً غير قليل من القبول في البيئة الأندلسية فقد توافر على نقله اثنان من المؤدبين هاجرا إلى المشرق ورورياه عن صاحبه وأقراه بالأندلس وهما :-

1- عثمان بن المثنى (أبو عبد الملك بن المثنى القيسي القرطبي 273هـ) :-

إذ كان له شيء من النظم فقد قال يمدح الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم [(2)].

[(1)] بغية الوعاة / 2 : 28 – وينظر طبقات النحويين : 262.

[(1)] ينظر بغية الوعاة / 1/ 29 – طبقات النحويين : 267 – وينظر تاريخ علماء الأندلس / 2 : 66 .

[(2)] تاريخ علماء الأندلس / 2 : 513.

غداً في أسارير الإمام محمدٍ إمام الهوى بدرٌ وفي كفهِ بحرُ
تلافى رعاياه بإسقاط ثلث ما عليهم بما استوفى... قبله العشرُ
وأوسعهم عدلاً ورفق سياسة فطابتْ به عنه الأحاديث والذكر

2- مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس :-

شاعر مشهور مكثر محسن مطبوع من شعراء قرطبة في زمانه ، ولكن شعره ضاع ولم يبق منه سوى نتف أكثرها في الهجاء ومنه قوله في الشكوى والنسيب [1].

حرمتك ما عدا نظراً مُضراً بقلب بين أضلاعي مُقيمِ
فعيني منك في جنَّات عدنٍ مُخلَّدةٌ وقلبي في الجحيمِ

فقد كان لهؤلاء الشعراء المؤدبين أثر كبير في إرساء الأساس الأول للشعر إذ أنهم استطاعوا أن يوظفوا المناهج والسمات والخصائص الشعرية المشرقية في الأشعار الأندلسية من خلال ما نقلوه من دواوين شعراء فحول مشارقه ليكون في زمنهم أول ديوان شعر لشاعر أندلسي هو : يحيى بن الحكم الغزال (250هـ) فكما تبين أنه لم تكن هناك دواوين شعرية كاملة في هذه المدة من بداية تكون الشعر إذ إن الشعر الأندلسي في بداية تكونه لم يكن إلا أبياتاً قيلت في مناسبات مختلفة ، وقد كان في تلك المدّة شعراء لهم شعر أندلسي مثل أبي المخشي (180هـ) [2] وكذلك غريب الطليطلي (207هـ) [3] وإدريس الأصغر (213هـ) [4] وعبد الملك بن حبيب (238هـ) [5] وغيرهم .

---

[1] بغية الملتمس / 2 : 63.
[2] جذوة المقتبس / 2 : 377.
[3] بغية الملتمس / 2 : 580.
[4] الحلة السيراء / 1 : 50.
[5] تاريخ علماء الأندلس / 1 : 459.

الخاتمة

وكل ما تقدم من حديث عن الشعر والشعراء في هذه الحقبة أي منذ بداية الشعر – هو دليل على وجود شعر ولكن لم يكن مجموعاً والدليل هو وجود كتب تتناول ما يسمى الأدب ونثره وسير الأدباء والنقد الأدبي ، فكانت هذه الكتب تعنى بالإحاطة بالشعر والشعراء في ذلك الوقت ومن هذه الكتب التي لم يصل إلينا شيء منها وبقيت أسماؤها فقط هي :-

- طبقات الكتاب بالأندلس للأفشتين (309هـ) .
- طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة (310هـ) .
- كتاب الشعراء من الفقهاء بالأندلس لقاسم بن نصير (338هـ) .
- أخبار شعراء الأندلس لمحمد بن هشام الأموي (350هـ) .
- أخبار شعراء الأندلس أو كتاب طبقات الشعراء لابن الفرضي (351هـ) .
- كتاب التشبيهات في أشعار أهل الأندلس لعلي بن أبي الحسين .
- أخبار شعراء الأندلس لعبادة بن ماء السماء .
- كتاب في شعراء الأندلس لعثمان بن سعيد الكناني .

إن هذا كله دليل على وجود أشعار أكثر مما ذكر ولكن أكثرها قد ضاع ، وقد وردنا شيء يسير يدور في أمور الحرب ويشير بوضوح إلى أن الشعراء لم يكونوا بعدين عن المشاركة بشعرهم ثم أن الكوارث الطبيعية التي كانت تنزل بالأندلس بسبب القحط الشديد وما يستتبعه من مجاعات عظيمة لا يمكن إلا أن تكون من البواعث القوية على قول الشعر فيها ، ومما لا شك فيه اضطراب الأحوال وحدوث الثورات المتتالية في الأندلس دخل كبير في ضياع ما يمكن أن يكون قد قيل من شعر في تلك الأحداث .

و كان الأثر الواضح لطائفة المؤدبين في نقل الشعر المشرقي وتكوين أول ديوان للشاعر يحيى بن الحكم الغزال (250هـ) .

وفي نهاية المطاف رأيت أن اجمع شتات الموضوعات التي تناولتها لأصل إلى النتائج التي حققها البحث .

فبعد أن عرفنا العوامل التي أسهمت في تكوين الشخصية الأندلسية اتضح بما لا يقبل الشك إن السبب الأول في ظهور الشعر الأندلسي ونضجه هو عامل الفتح العربي الإسلامي وتأثير الشاعر المشرقي الذي وفد إلى الأندلس . فكان له كبير الأثر في إنضاج تجربة الشاعر الأندلسي ، وهنا يجب التنويه إلى حقيقة تعد مهمة في مجال البحث الموضوعي وهي عدم إغفال موهبة الشاعر الأندلسي واستعداده الفطري للشعر، إذ أن هناك شعراء ولدوا شعراء ولكن تجاربهم ما نضجت وازدهرت إلا بالاتصال والتلقيح مع الموهبة المشرقية الوافدة على الأندلس .

وأخيرا أرجو أن أكون قد قدمت شيئا مفيدا إلى المكتبة العربية في فرع أساس من فروعها وهو الأدب العربي في الأندلس .

المصادر والمراجع

1-الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد عبد الله عنان – صدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار المعارف بمصر .

2- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس الضبي تحقيق إبراهيم الابياري ط1 ، دار الكتاب المصري – القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت – 1410هـ – 1989م.

3- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ط/1 1384-1964م .

4- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لأبن عذارى المراكشي نشر وتحقيق ج. س. كولان ليفي برونسال ، ليدن هولندا مطبوعات أ. ح. بريل 1948 م .

5- تاريخ علماء الأندلس لأبن الفرضي ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط/2 ، دار الكتاب المصري – القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت –1410هـ – 1989م .

6 – تاريخ أفتتاح الأندلس/ لأبن قوطية ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط/2 ، دار الكتاب المصري – القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت –1410هـ – 1989م .

7- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، للحميدي ، ج/1،ج/2 تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري – القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط/2 1410هـ 1989م.

8- الحلة السيراء . ابن الابار القضاعي . تحقيق حسين مؤنس ، ط/1 ، 1963 .

9- طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي الأندلسي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر .

10- فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة . الدكتور حكمة علي الأوسي ، ط/2 ، 1974م .

11- المعجب في تلخيص أخبار المغرب. عبد الواحد المراكشي، ضبطه محمد سعيد العريان محمد العربي العلمي ، ط/1- 1368هـ -1949م، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

12- المغرب في حلى المغرب . ابن سعيد المغربي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ج/1 ، ج/2 / ط/3 دار المعارف .

13- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . المقرّي ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت – دار الثقافة – 1988 م .